مقدّمـــة

من أدبيات العملية التربوية، كما علمّتنا إياه السوسيولوجيا، ابتداء من الخطاب الدوركايمي للتربية، مرورا بتنظير المدرسة النقدية، ووصولا إلى المدرسة الاستراتيجية المابعد حداثية، أنّ نعتبر الأسرة اللّبنة الأولى للتربية، ثمّ المدرسة اللّبنة العالِمة، التي يستكمل بها الفرد تكوينه من أجل المرور فيما بعد إلى الكتلة السوسيولوجية الفاعلة في المجتمع، حسب ما زوّدته به تلك التربية من جهوزات نفسية ومادية وثقافية.

ولذلك؛ فإن تلك الاستعدادات النفسية، ستكون بقيمة التنشئة الاجتماعية التي تسلّح بها الفرد، في شكل الثمار التي تينع بجوهر ما تمّ زرعه. كل شجرة ستطلع بجوهر المزروع، ووحدها الثقافة، من شأنها أن تُعدِّلَ من نوعية ذلك الثمر، ثم ذلك الجوهر فيما بعد، وهو الهدف الأسمى للتربية في غايتها النهائية، كرأسمال ثقافي: تقييم وتحسين الواقع وتنميته المستدامة.

فإذا اختلت التنشئة، بفعل عوامل عدّة متشابكة فيما بينها، أسرية أو إدارية، فإن ذلك الخلل سيمتدّ حتما مستقبلا إلى أوصال المجتمع، ويتهدّده، منشئا بدوره مجتمعا باطولوجيا، بدل أن يكون مجتمعا معتدّاً بذاته وصحيا، عبر توازنه، واعتداله بقدر الإمكان، واستشرافه الحكيم للمستقبل.

المدرسة إذاً، هي الرّاعي الرسمي للتنشئة الاجتماعية العالمة، والمدرسة؛ هي التي تُختزل فيها سياسة الدّولة، وآفاقُها. فإذا كانت المدرسة عادلة في صناعة الرأسمال الثقافي للجيل الذي يترضّعُ المعرفة داخل صفوفها، فإننا سنحصل مستقبلا على جيل سويّ، يُحسن جيّدا التمنطق وفق تحديات السّاعة، وتسويق رأسمال العدالة التي رَبِيَ عليها، وإذا كانت المدرسة غير عادلة، ولا سوية في رأسمالها الثقافي الذي زرعته في التلميذ، فإننا سنجني جيلا رأى فيه ماكيلاند، كل أنواع الباطولوجيا، والانهيار الاقتصادي والتخلّف.

بحثُنا هذا، حاول الاقتراب بقدر الإمكان من أبعاد هذه الأمراض التي تتهدّد التربية في شكلها السويّ، عبر مساءلة المعنيين بالأمر في حدّ ذاتهم: التلاميذ، بدل اللجوء إلى من يشاركون في تفعيلها، عن وعي أو عن غير وعي، مؤمنين بنظرية " جون بياجي" التي تؤكّد على أنّ كلَّ (الأطفال) أذكياء، وكذا "فرانسوا دوبيه"، التي اشتغلت على "اللامساواة، والتي عملنا على ضوئها كباردیغما"، والتي رأت بأنّه، بإمكان (الأطفال) أن يجيبوا على أي سؤال، مهما كانت حِدّة صعوبته، وأنهم كلهم يتساوون في الذكاء أيضا.

من أجل هذا، ومن أجل توضيح نقاطَ عدّة تتصل بظاهرة اللامساواة في الثانوية (الأقسام النهائية لثانوية مكّي منّي ببسكرة) انتهجنا في بحثنا الخطوات التالية:

1- **<u>الفصل الأول</u>** : تناولنا فيه الباب التصوّري، الذي جاءت فيه الإشكالية، وأسباب اختيار الموضوع، وأهيمة الدراسة وأهدافها، والفرضيات والمفاهيم الأساسية الظرورية للبحث كمفاتيح عمل تقودنا اعتمادا على البراديغما والدراسات السابقة، وحللنا مفهوم المدرسة في منظورها الحديث، واللامساوة، ثم مفهوم التحصيل الدراسي، كي نلمّ بجميع مفاهيم التيمة التي اشتغلنا عليها. بعدها، ولجنا إلى المقاربة النظرية لأجل حصر الدراسة في إطارها المنهجي والمرجعي، مستعينين في ذلك بالدراسات السابقة، والراديغم الذي آثرنا العمل على ضوء منهاجه.

2- **<u>الفصل الثاني:</u>** جاء فيه التصور السوسيولوجي للامساواة في المدرسة بشكل عام، ثم التصوّر السوسيولوجي للامساواة في المدرسة وفق منظور فرانسوا دوبيه، بشكل خاصّ، حتى يستقيم التأكيد على البراديغما التي اشتغلنا عليها، وتوضيحها بشكل دقيق، ومسترسل، كي تتطابق مع العمل الميداني وتحليله فيما بعد.

3- **الفصل الثالث:** تناولنا فيه التنظير الذي اشتغلت عليه مدارس عدّة حول التحصيل المدرسي، عبر المقاربات الخاصة بها. فتناولنا التحصيل المدرسي عبر التلقين، ثم الكفاءات، ثم المشاركة، ثم عبر تنمية الدافع إلى الانجاز. وهذا طبعا يدخل أيضا ضمن الإلمام بالتيمة التي يشتغل عليها بحثنا هذا نظريا، لأجل تسهيل تحليل نتائج العمل الميداني، وقيادته منهجيا، دون التحكّم في نتائجه، التي لا يمكن معرفتها إلاّ بعد اختبار فرضياتها عند نهاية البحث.

4- **الفصل الرّابع :** كعادة أي بحث، فهو يبدأ بالتحري عن الميدان أولا، عبر تحديد مجالات الدراسة، ثم ظبط الحيّز المكاني والزماني والبشري وخصائصه وتوضيح المنهج المستخدم وأدوات جمع البيانات، التي نؤكد فيها على الاستمارة التي اختزلنا فيها كل الرُّؤى المنهجية التي جاءت في ضوء الدراسات السابقة والبراديغم الذي سرنا على هَديه.

5- **الفصل الخامس :** وهو أهمّ قسم في البحث الآكاديمي، والذي نبين فيه اختبار الجانب النظري الذي زوّدَنا بالتراث العلمي الظروري الذي انطلقنا بفضله من سؤال البداية. في هذا الفصل، لم نسعَ إلى شرح الأرقام بالأرقام، بل حاولنا أن نُبدي رأينا في النتائج المتحصل عليها من استجواب التلاميذ، الذين أجابوا على 33 سؤالا، رأينا بأنه يلمُّ بالتيمة التي يجري التأكّد من فرضياتها، فقمنا بـ: تحليل وتفسير البيانات الميدانية، مناقشة نتائج البحث واختبار الفروض في ضوء فرضيات الدراسة، ثم وضعنا في الأخير الاقتراحات التي رأينا بأنّها تخدم النتائج المتحصّل عليها، كي يأخذ البحث معناه السوسيولوجي بقدر الإمكان الذي توصلنا إليه، والذي نحسبه قابلا طبعا، للملاحظة، وللنقد والتوجيه،وهو الغاية التي يسعى إليها كل بحث يطمح فيه صاحبه إلى الأفضل، لا إلى الأكمل.